قصديَّةُ التَّعبيرِ
في خُطَبِ الإمامِ زينِ العابدينَ (عليهِ السلامُ)
في الكوفةِ والشَّامِ

الباحث
مُنيف عودة عبيد الزيديّ
المديرية العامة للتربية في بابِل
munifalzaidi@gmail.com

MUNIF OUDAH OBAID ALZAIDI
General Directorate of Education in Babylon

المُلخَّص
القصـديةُ معيـارٌ أسـاسٌ فـي كُـلِّ نَـصٍّ كلامـيٍّ يتَّجـهُ صـوبَ الكمـالِ فـي المعنـى الـذي يُـرادُ إيصـاله والرسـالة فـي ذلـك المعنـى والتـي تتحقـقُ بمُثلَّـثِ العمليَّـةِ التواصـليَّة : المُرسِـل – الرسـالة – المُتلقـي , فالغايةُ الأساسيَّةُ من كُلِّ خطابٍ هي الإقناع .
لـذلكَ عَمِـد الباحـثُ فـي هـذا البحـثِ أنْ يـدرسَ القصـديَّةَ فـي كـلامِ الإمـامِ زيـنِ العابـدينَ (عليـهِ السـلامُ) فـي الكوفـةِ والشَّـامِ , مُسـتندًا علـى أنَّ القصـدَ والأسـلوبَ مُتغيّـرٌ حسـبَ الموقـفِ والوقـتِ الـذي يُقـالُ فيـهِ الكـلامُ وأنَّ الرّسـالةَ مِـنْ وراءِ القصـدِ مُتغيّـرةٌ أيضًـا ولا يوجـد أسـلوبٌ مُعـيَّنٌ وثابـتٌ للـنَّصِ وطريقـةٌ خاصَّـةٌ وأسـلوبٌ خـاصٌّ للمُـتكلِّمِ , وهـذا مـا أثبتـهُ كـلامُ الإمامِ(عليـهِ السـلامُ) فالموازنـةُ الكلاميَّـةُ بـينَ الخطبتـينِ واردة فلكُـلِّ خطبـةٍ مَقصـدُها وأسـلوبُها الخـاصُّ بـالرغمِ مـن أنَّهـا صـدرتْ مـنْ المُـتكلِّمِ نفسـه, والبُعـدُ القصـديُّ فـي الخطبتـينِ عـزَّزَ الوظيفـةَ التفاعليَّـةَ لـدى المُتلقـي , وأثبـتَ أيضًـا أنَّ القصـديَّةَ المُباشِـرةَ فـي الكـلامِ قـادرةٌ علـى تغييـرِ الموقـفِ الفكـري والعـاطفي لـدى المُتلقـي وهكـذا نجـحَ الإمـامُ زيـنُ العابـدينَ (عليـهِ السـلامُ) فـي إحـداثِ تغييـرٍ حتَّـى فـي الموقـفِ السياسـيّ الأمـويّ مـن طريـقِ القصدية المُباشِرة في الكلامِ والتي عمدَ فيها الإمامُ على مبدأ الاحتجاج والإثبات .

الكلماتُ المفتاحيَّةُ : قصديَّةُ التَّعبيرِ , الاحتجاج , التواصليَّة .

Summary
Intentionality is a basic criterion in every verbal text that moves towards perfection in the meaning that is intended to be conveyed and the message in that meaning, which is achieved by the triangle of the communication process: sender - message - recipient. The basic goal of every speech is persuasion.
Therefore, in this research, the researcher intended to study Intentionality in the words of Imam Zayn al-Abidin (peace be upon him) in Kufa and Al Shaam, based on the fact that the intention and style are variable according to the situation and time in which the words are said, and that the message behind the intention is also variable, and there is no specific and fixed style for the text and method. A particular style and style of the speaker, and this is what was proven by the words of the Imam Ali, peace be upon him. The verbal balance between the two

قصديَّةُ التَّعبيرِ
في خُطَبِ الإمامِ زينِ العابدينَ (عليهِ السلامُ)
في الكوفةِ والشَّامِ

مُنيف عودة عبيد الزيديّ

sermons, each sermon has its own purpose and style, even though it came from the same speaker, and the intentional dimension in the two sermons enhanced the interactive function of the recipient, and it also proved that direct intentionality in speech is capable of changing the situation. Intellectually and emotionally for the recipient. Thus, Imam Zain al-Abidin (peace be upon him) succeeded in bringing about change even in the Alamwi political endowment through direct intentionality in speech, in which the Imam Ali(peace upon him)relied on the principle of protest and proof.

Keywords: intentionality expression, protest, communication.

المُقدِّمَة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الخَلقِ والمُرسلينَ وعلى آلهِ الطَّيبينَ الطَّاهرين .

أمّا بعد :

وتُعدُّ الآليَّاتُ والمعاييرُ المتبعةُ في الخطابِ أُسسًا واقعيةً ومقياسًا دقيقًا لجودةِ النَّصِ الخطابيّ وتختلفُ من نصٍ لآخر, وهذا الاختلافُ يعتمدُ على قوَّةِ التأثيرِ في المُتلقي عاطفيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا ؛ لذلكَ جاءَ الخطابُ القرآنيُّ خطابًا تكامُليًّا راسمًا السياسةَ الدينيَّةَ والاجتماعيَّةَ للمُجتمعِ الإسلاميّ , وجاءَ كلامُ أئمةِ آلِ البيتِ (عليهُم السلامُ) امتدادًا لهذا الخطاب وضُمّن الكثيرُ من كلامهم وخطبهم من القرآن الكريم , واخترتُ أن يكون البحثُ في كلام الإمام زين العابدين (عليه السلام) وتناولت في معيار القصدية وبُعدها في كلام الإمام (عليه السلام), في بحث كان عماد خطته تمهيدًا بينتُ فيه مفهوم القصد لغُةً واصطلاحًا وكلام القدامى والمحدثين فيه , ومبحثين : تضمن الأول : الاحتجاج وكيف أدت القصدية هذا الغرض من الخطاب , و المبحث الثاني تناول : الإثبات وكيف وجه الإمام كلامه بما يثبت أحقية آل البيت (عليهم السلام) , معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي مسترشدًا بمصادرَ عدة , وختم البحث بنتائج توصل إليها الباحث , وأسأل الله تعالى أن تكون تلك النتائج والآراء سديدة بما يتناسب مع عظم شخصية الإمام زين العابدين (عليه السلام) , ومن الله التوفيق .

التمهيد

مفهوم القصد لغة واصطلاحًا

ارتبطت فكرة القصد ارتباطًا وثيقًا في كلام العرب , ولاسيما أنَّهم اهتموا بكلامهم كثيراً وكان القصد في جوهره بوصفه الغرض المنشود من الكلام , والقصد لغةً ارتبط بدلالات عدة , فابن فارس يورده بثلاثة اصول : أولها على إتيان شيء وأمّه ,والثاني على الاكتناز والامتلاء في الشيء , وثالثها يدل على الكسر.[1]

[1] مقاييس اللغة , ابن فارس , ت : عبد السلام هارون ,دار الفكر , د.ت , 1979 م , ج5 , ص95.

وجاء في اللسان أنَّ القصد استقامة الطريق , قصد يقصد قاصدًا , فهو قاصد , وطريق قاصد سهل مستقيم , والقصد العدل , والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير [2].

والقصد في اصطلاح البلاغيين مرتبط ارتباطًا كُليًّا بالمتكلم وما ينوي تبليغه والغاية من كلامه , فأبو هلال العسكري (ت 395هـ) جعل القصد مرادفاً للمعنى بقوله : " المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه فيكون معنى القصد ما تعلق به الكلام "[3].

وما ذهب إليه الجرجاني (ت 471هـ) في مقاصد المتكلم اذ قسمها إلى : مقاصد ظاهرة وأخرى خفية , وسمى الأولى : المعنى, وسمى الثانية : معنى المعنى , والمعنى عنده ما ظهر من اللفظ والذي يمكن الوصول إليه دون واسطة , ومعنى المعنى : ما تعقله من اللفظ معنىً ثم يضفي بك إلى معنىً آخر [4].

أما القصد أو القصدية في الفكر النقدي الحديث فهو مرتبط بمفهوم القصد في فكر الفلاسفة الأوربيين والذي عُدَّ نظرية مستقلة عندهم والتي عمل عليها وطور مفهومها (هوسرل) حتى أصبحت أساسًا معرفيًّا عنده , فهو يرى أنَّ للنص الأدبي قصدية في ذهن ووعي مؤلفه ويترجم ذلك من خلال اللغة , وبذلك يكون تجسيداً مهما لمظاهر العالم والحياة التي تبلورت في ثقافة ووعي الكاتب[5].

فالقصد إذن فعل يتجه في العقل نحو موضوع لكي يدركه ؛ لذلك ارتبطت القصدية في النص كأداة لتحقيق صفة النصية له وهذا ما ذهب إليه (دي بوجراند) الذي عد القصد الموقف الذي نشأ النص وتكونت به صورة اللغة التي قصدها المتكلم بنصها والتي بدورها تحمل المعنى بعينه[6]

ويرى الباحث أنَّ المتطلع للتراث البلاغي والنقدي لا يجد تعريفا واضحًا وصريحًا متفق عليه للقصد وإنَّما هي مجموعة آراء تفسرها غاية المتكلم , ويمكن أن تكون الغاية الأسمى للقصد هي الإقناع والذي يعد جوهر الخطاب في العملية التواصلية كون الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل ؛ لذلك عمد القدامى والمحدثين إلى الاهتمام بالقصدية بوصفها ركناً أساسياً في النص والتي عادة ما تضفي بُعدًا جماليًا في آلية الخطاب وفسروا ذلك من طريق الحكم النقدي عليه سواء كان من جانب الفصاحة أو الارتقاء في مستواه الخطابي والدلالي , ويمكن القول أيضًا إنَّ القصد كلمة مرادفة للوظيفة في اللغة فكلاهما يؤدي إلى الإفصاح عن المعنى ومعنى المعنى الذي تكلم عليه عبد القاهر الجرجاني .

المبحث الأول : الاحتجاج :

الاحتجاج أسلوب بلاغي مرتبط بالتعبير اللفظي وأشكاله ويمكن عده وسيلة تعبير عن عدم رضا أوقناعة عن موضوع معين سواء كان دينيًّا أو سياسيًّا .

والاحتجاج لغةً :

جاء في اللسان :حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أي غَلَبتُه بالحُجَجِ التي أدلَيْتُ بها . والحُجَّةُ : البرهان ،وقيل :الحُجَّة ما دُوفِعَ بها الخصم . وهو رجلٌ مِحْجاجٌ أي جَدِلٌ ،واحْتَجَّ بالشيء : اتّخذه حُجَّةً[7] .

---

[2] لسان العرب , ابن منظور , دار صادر , بيروت , ط3 , 1414 هـ , ج3 , ص553 .

[3] الفروق اللغوية , أبو هلال العسكري , ت : محمد ابراهيم , دار العلم , د.ط , د.ت , ص33.

[4] ينظر : دلائل الاعجاز في علم المعاني , عبد القاهر الجرجاني , ت : محمود شاكر, مطبعة المدني في القاهرة , ط2 , 1992م , ص263.

[5] ينظر : المقصدية نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب , سلطان الزغلول , صحيفة الرأي , http://alri.com ,2012م.

[6] ينظر : القصدية في اللغة بين الدراسات القديمة والحديثة , رنا ماجد ثابت , مجلة كلية العلوم الاسلامية , المستنصرية , 2020م , ص245 .

[7] ينظر : لسان العرب ,ج 2 , ص202.

قصديَّةُ التَّعبيرِ
في خُطَبِ الإمامِ زينِ العابدينَ (عليهِ السلامُ)
في الكوفةِ والشَّامِ

مُنيف عودة عبيد الزيديّ

ويُقال : حاجَّهُ مُحاجَّةً وحِجاجاً : جادله . واحْتَجَّ عليه : أقام الحجّةَ . والحُجَّةُ الدليل والبرهان . والمِجاج : الذي يُكثر الجدل[8]
ووردت مفردة الاحتجاج في القرآن الكريم في أكثر من موضع كقوله تعالى : ((ها أنتُم هؤلَاءِ حاجَجْتُم فيما لَكُم به عِلْمٌ فلِمَ تُحاجُّونَ فيما ليس لكُم به علمٌ والله يعلم وانتم لا تعلمون)) **(عمران 66)**, وقوله تعالى : ، وقوله تعالى : ((فَمَنْ حَاجَّكَ فيه مِن بَعدِ ما جاءَك مِنَ العِلْمِ فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)) **(عمران 61).**

الاحتجاج اصطلاحًا :
لم يذهبوا في تعريف الاصلاح بعيدًا عن تعريفه لغةً , وقالوا : الإتيان بمعنى يؤكَّد بمعنى آخر يجري مجرى الإثبات على الأول والحجة على صحته في الادعاء[9] .
ويمكن عدُّ الاحتجاج مادة خام لبنيةِ أيّ نصٍ لغويّ وأدبيّ بل هو فلكور خاص يرسم ملامح الموضوع أو الأسلوب الذي يؤثر في أداء أيّ نص وتفاعل المتلقي معه ويدخل حتى في تفاعلات ذلك النص ومن ضمنها الملامح المرتبطة باللغة والإيماءات التي تصدر من المرسل , والتركيز الذي يبديه المتلقي[10].
إذن الاحتجاج هو تعبير لفظي يثبت فيه المتكلم حجته التي جاء بها وغالبًا ما تكون مدعمة بالأدلة والبراهين , ومتى ما كانت الحجة قويةً كان الخطابُ قويًا ولافتًا لذهن وإدراك المتلقي ؛ لذلك تتحول الخطابات إلى وظيفة تواصلية مرة لتأكيد على الثوابت التي يؤمن بها المرسل, ومرة أخرى لإقناع المتلقي, ويتحول الخطاب من خطاب الذات إلى خطاب الجمهور .
وهذا ما حوّله الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الألم بالغربة والخذلان إلى خطاب جماهيري فضح به السياسة الأموية وخذلان أهل الكوفة لهم , حيث نرى في خطبته (عليه السلام) في الكوفة أنه دخل مباشرة في الاحتجاج على أهلها بقوله : "أيُّهَا النّاسُ! ناشَدتُكُمُ الله ، هَل تَعلَمونَ أنَّكُم كَتَبتُم إلى أبي وخَدَعتُموهُ، وأعطَيتُموهُ مِن أنفُسِكُمُ العَهدَ وَالميثاقَ وَالبَيعَةَ وقاتَلتُموهُ وخَذَلتُموهُ؟! فَتَبّا لِما قَدَّمتُم لِأنفُسِكُم وسوءا لِرَأيِكُم، بِأَيَّةِ عَينٍ تَنظُرونَ إلى رَسولِ الله (صلى الله عليه و آله) إذ يَقولُ لَكُم: قَتَلتُم عِترَتي وَانتَهَكتُم حُرمَتي فَلَستُم مِن أُمَّتي؟ "[11]
فاستعمال الإمام الأفعال الماضية بصورة متتالية : كتبتم , خدعتموه , أعطيتموه , قاتلتموه , خذلتموه , ... الخ , جعلت من قصدية الاحتجاج تسيطر سيطرةً كاملةً على المتلقي , وهذا ما يمكن أن نسميه إنتاج نص يسهم في اتصال وتفاعل اجتماعي والمّت الجوانب المقصدية فيه عن دور الخطاب في تغيير أفكار الناس وعواطفهم .
ونلحظ أيضًا أن الإمام زين العابدين (عليه السلام)استعمل أسلوب الاستفهام وحوّله إلى قصدية احتجاجية فالاحتجاج من طريق السؤال يعزز إلقاء الحجة على المقابل كقوله :" هَل تَعلَمونَ؟ أنَّكُم كَتَبتُم إلى أبي وخَدَعتُموهُ" و " بِأَيَّةِ عَينٍ تَنظُرونَ إلى رَسولِ الله (صلى الله عليه و آله)؟"
ودليل ما سبق تحوّل الخطاب من الناس إلى الإمام (عليه السلام) عندما يقول الراوي :" فَارتَفَعَت أصواتُ النّاسِ مِن كُلِّ ناحِيَةٍ، ويَقولُ بَعضُهُم لِبَعضٍ: هَلَكتُم وما تَعلَمونَ! فَقالَ عليه

---

[8] المعجم الوسيط ,مجمع اللغة العربية في القاهرة , ط2 , 1972م , ج1 , ص157.
[9] 8- كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري , ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ,دار إحياء الكتب العربية ,ط1 , 1652م , ص470..
[10] ينظر : تحليل الخطاب الثقافي , عبد الرحمن محمد طعمة , دار النابغة للنشر والتوزيع , طنطا , ط1 , 2021م , ص70 .
[11] الاحتجاج، الطبرسي ,تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف، دار النعمان، 1966 م، ج 2، ص 31.

السلام: رَحِمَ الله امرَأً قَبِلَ نَصيحَتي وحَفِظَ وَصِيَّتي فِي الله وفي رَسولِهِ وأهلِ بَيتِهِ، فَإِنَّ لَنا في رَسولِ الله أُسوَةً حَسَنَةً, فَقالوا بِأَجمَعِهِم: نَحنُ كُلُّنا يَابنَ رَسولِ الله سامِعونَ مُطيعونَ، حافِظونَ لِذِمامِكَ غَيرَ زاهِدينَ فيكَ ولا راغِبينَ عَنكَ، فَأَمُرنا بِأَمرِكَ يَرحَمُكَ الله ، فَإِنّا حَربٌ لِحَربِكَ وسِلمٌ لِسِلمِكَ، لَنَأخُذَنَّ يَزيدَ ونَبرَأُ مِمَّن ظَلَمَكَ وظَلَمَنا"[12]

وهذا إن يدل فإنه يدل على قوة الحجة التي قصدها الإمام في الخطبة وسيطرته الكاملة على ذهن وعواطف المتلقي , لأنَّ المتلقي هو الحاكم الأول على النص فهو شريك في استخراج معناه وتماسكه , وهذا ما يجعله شريكَ الكاتب في الإفصاح عن المعنى لأن عامة الناس لا يهتمون بالتشكيل اللغوي بقدر اهتمامهم بمضمون النص الذي يستهويهم ويسيطر على عواطفهم وعقولهم , وهنا تكمن أهمية القصدية في إنتاج نص يحقق جميع مقومات النصية .

ويستمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) بإلقاء الحجج على الناس ولكن هذه المرة استعمل قصديةَ التعريض فقال (عليه السلام) :" هَيهاتَ هَيهاتَ! أيُّهَا الغَدَرَةُ المَكَرَةُ، حيلَ بَينَكُم وبَينَ شَهَواتِ أنفُسِكُم، أتُريدونَ أن تَأتوا إلَيَّ كَما أتَيتُم إلى أبي مِن قَبلُ؟! كَلّا ورَبِّ الرّاقِصاتِ، فَإِنَّ الجُرحَ لَمّا يَندَمِل، قُتِلَ أبي صَلَواتُ الله عَلَيهِ بِالأَمسِ وأهلُ بَيتِهِ مَعَهُ، ولَم يُنسِني ثُكلَ رَسولِ الله صلى الله عليه و آله وثُكلَ أبي وبَني أبي، ووَجدُهُ بَينَ لَهَواتي، ومَرارَتُهُ بَينَ حَناجِري وحَلقي، وغُصَصُهُ تَجري في فِراشِ صَدري، ومَسأَلَتي أن لا تَكونوا لَنا ولا عَلَينا"[13]

وهنا استطاع الإمام (عليه السلام) أن يقنع الناس بتقصيرهم وخذلانهم للإمام الحسين (عليه السلام) , فالإمام باشر بالقصدية بدون مقدمات ولم يجعل الخطاب مغلقاً بل عززه بمفارقة جميلة محتجًا بها على طريقة الاستفهام التعجبي حينما قال : " أتُريدونَ أن تَأتوا إلَيَّ كَما أتَيتُم إلى أبي مِن قَبلُ؟!"[14] , فهو خرج عن سلطة الخطاب السائدة وحقق أساليبًا بلاغيةً متنوعةً وأكسبَ النص الحيوية في صدق التعبير , وأطلق أسلوب المعارضة للحكم من الوهلة الأولى .

إذن يمكن القول إن الإمام زين العابدين (عليه السلامِ) نقل صورةً سيميائيةً حيَّةً عن واقعة الطف وما جرى في أرض كربلاء وهذا ما ظهر في كلامه : "ولَم يُنسِني ثُكلَ رَسولِ الله "صلى الله عليه و آله" وثُكلَ أبي وبَني أبي، ووَجدُهُ بَينَ لَهَواتي، ومَرارَتُهُ بَينَ حَناجِري وحَلقي، وغُصَصُهُ تَجري في فِراشِ صَدري"[15] , فتتابع الصور البلاغية الرائعة توحي عن قصدية الإمام (عليه السلام) كالوجد والمرارة في الحنجرة والحلق والغصة في الصدر , عن حجم الأسى الذي تعرض له الإمام زين العابدين وأهل بيته (عليهم السلام).

يتبين مما سبق أنَّ القصدية لا تعتبر الخطاب نظامًا من العلاقات اللغوية الأدبية فحسب بل هو نشاط تواصلي يحقق حركةً تفاعليةً بين المرسل والمتلقي , وإن صح التعبير هي طريقة يتخذها صاحب النص من أجل تحقيق مقصده ليحقق المقبولية على أوسع نطاق بين العالم الداخلي لصاحب النص والعالم الخارجي المتمثل بعامة الناس (المتلقي) , وهذا ما حققه الإمام زين العابدين (عليه السلام) في خطابه محاولًا معالجة التصدع الذي حصل في عقيدة الناس ونكرانهم للثوابت التي تربى عليها الانسان العربي لكونه قائد مشروع إلهي , والوظيفة الأساسية في خطابه هي تقويم اعوجاج المجتمع .

المبحث الثاني : الإثبات :

---

[12] المصدر السابق نفسة .

[13] الاحتجاج، الطبرسي ,تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف، دار النعمان، 1966 م، ج 2، ص 31

[14] المصدر نفسه ص 31.

[15] المصدر نفسه ص 31.

قصديَّةُ التَّعبيرِ
في خُطَبِ الإمامِ زينِ العابدينَ (عليهِ السلامُ)
في الكوفةِ والشَّامِ

مُنيف عودة عبيد الزيديّ

إنَّ إثباتَ كُلّ حُجةٍ أو فكرةٍ يحتاجُ إلى مُقوماتٍ عدة يجب أن تتوافر في الخطاب الذي يخرج من الفضاء الخاص لصاحب النص إلى الفضاء العام وهو الجمهور , وهذا يحتاج إلى قوة طرح الفكرة أو الحجة أولا, وإلى نوعية المتلقي ثانيًا فهو إما أنْ يكون متلقيًا داخل الثقافة نفسها أو متلقيًا عامًا متواجدًا في فضاء العملية التواصلية .

والإثبات من الجذر " ثبت: ثَبَتَ الشيءُ يَثْبُتُ ثَباتاً وثُبوتاً فَهُوَ ثابتٌ وثَبِيتٌ وثَبْتٌ، وأَثْبَتَه هُوَ، وثَبَّتَه بِمَعْنًى. وَشَيْءٌ ثَبْتٌ: ثابتٌ. وَيُقَالُ لِلجَرَاد إِذا رزَّ أَذْنابَه لِيَبِيضَ: ثَبَتَ وأَثْبَتَ وثَبَّتَ. وَيُقَالُ: ثَبَتَ فلانٌ فِي المَكان يَثْبُتُ ثُبُوتاً، فَهُوَ ثابتٌ إِذا أَقام بِهِ. وأَثْبَتَه السُّقْم إِذا لَمْ يُفارِقْهُ. وثَبَّتَه عَنِ الأَمْر كَثَبَّطه. وَفَرَسٌ ثَبْتٌ: ثَقِفٌ فِي عَدْوِه. وَرَجُلٌ ثَبْتُ الغَدْرِ إِذا كَانَ ثابِتاً فِي قِتَالٍ أَو كَلَامٍ"[16]

وقال صاحب المصباح :" ثبت الشيء يثبُت ثبوتاً وثباتاً دام واستقرّ، فهو ثابت وثبيت وثبت"[17].

ويُقترن الإثبات بالبينة , وتحقق اللغة أو التواصل اللفظي الذي يؤدي إلى وظيفة تكاملية في الخطاب اتجاه قصدية مباشرة يكون مداها قصيرًا ويمكن أن تتمثل بلفت الانتباه إلى مضمون الرسالة أو إثارة الانفعال , وقصدية غير مباشرة مداها طويل ويكمن تأثيرها على بناء مفاهيم وقيم وتكون واسعة الانتشار[18] .

وكما قال الجرجاني : "إن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها ,ويبين مراتبها ويكشف صورها ,ويدل على سرائرها , ويبرز مكنونات ضمائرها ,وبه أبان الله تعالى الانسان من سائر الحيوان ,ونبه فيه على عظم الامتنان , فقال عز من قائِل ((الرحمن , علم القرآن , خلق الانسان , علمه البيان)) **الرحمن 1-4** , فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه "[19]

وهذا ما حققه خطاب الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الشام , فهو استهدف الفئة العامة من المجتمع أو ما يسمى بالمتلقي المقصود الذي قلب من خلاله الرأي العام على الحكومة الأموية , فقد جعل المخاطَب يمتلك قدرة على استنتاج المعنى المقصود وهنا تكمن أهمية القصدية التي يسعى إليها الخطيب من خلال القول .

فعندما نستعرض خطبة الإمام (عليه السلام) في الشام نجدها حققت قصديةً واضحةً رُسمت من خلال أساليبٍ لغوية وبلاغية رائعة فقد ابتدأ الإمام السَّجاد (عليه السلام) بإثبات مناقب آل البيت (عليهم السلام) حيث قال : " أَيُّهَا النَّاسُ، أُعْطِينَا سِتّاً وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ، أُعْطِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالسَّمَاحَةَ وَالْفَصَاحَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مِنَّا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّداً، وَمِنَّا الصِّدِّيقُ، وَمِنَّا الطَّيَّارُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، وَمِنَّا سِبْطَا هَذِهِ الْأُمَّةِ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَنْبَأْتُهُ بِحَسَبِي وَنَسَبِي"[20]

وهذا الاستدلال بين العطاء والتفضيل قصدية إثبات اعتمدها الإمام من خلال التكرار بقوله : ومنا , ومنا , ومنا , وهذا ما يُقال عنه : أن اللغة مادة لكل شيء على المستوى المنطوق أو الفعل الكلامي , لأن الخطاب مرتبط بالأساس بالقرائن اللغوية , وبهذا يكون الخطابُ تحليلًا بنيويًّا ودلاليًّا يرسم ملامح النص بصورة متكاملة[21]

---

[16] لسان العرب , ج2, ص19.

[17] المصباح المنير, أحمد بن محمد الفيومي , ت:عبد العظيم الشناوي , دار المعارف – القاهرة ,ط2 , ص85 .

[18] ينظر :خطاب الجمهور من الشفاهية الى الرقمية , عزة شبل , دار النابغة للنشر والتوزيع ,ط1 , 2021م , ص269.

[19] اسرار البلاغة , عبد القاهر الجرجاني , ت: محمد الفاضلي , المكتبة العصرية , بيروت , ط3 , 2001م , ص7.

[20] بحار الأنوار، العلامة المجلسي , مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، 1414 هـ، ج 45، ص 137.

[21] مقال السيميائية والنص الادبي ,عبد الحميد برايو ,اعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها , جامعة عنابة ,1995م , ص82.

وينتقل الإمام السَّجاد (عليه السلام) إلى إثبات ظلامة آل البيت (عليهم السلام) من خلال التعريف بنفسه ؛ وربما يسأل سائل لماذا عمد الإمام (عليه السلام) بخطبته في الكوفة إلى الدخول مباشرة إلى الموضوع الأساس , بينما لم يعمد لذلك بخطبته في الشام ؟

والجواب : إنَّ أهل الكوفة كانوا على علم تام بشخصية الإمام السَّجاد (عليه السلام) , بينما على العكس أنَّ أهل الشام لم يكونوا على دراية كاملة بشخصية الإمام وأهل بيته(عليهم السلام)؛ بسبب ما أُشيع عنهم بأنهم من الخوارج والديلم ؛ ولذلك عمد إمامنا إلى التفصيل بنسبه قائلاً :

" أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنَى، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ الرِّدَا.

أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنِ ائْتَزَرَ وَارْتَدَى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنِ انْتَعَلَ وَاحْتَفَى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ طَافَ وَسَعَى.

أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ حَجَّ وَلَبَّى، أَنَا ابْنُ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فِي الْهَوَاءِ.

أَنَا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَنَا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جَبْرَئِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

أَنَا ابْنُ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أَنَا ابْنُ مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى.

أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خَرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ بِسَيْفَيْنِ، وَطَعَنَ بِرُمْحَيْنِ، وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَبَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ، وَقَاتَلَ بِبَدْرٍ وَحُنَيْنٍ،.....الخ "[22]

فتكرار الضمير (أنا) على لسان الإمام السَّجاد (عليه السلام) أعطى فعالية تواصلية في أذهان الناس فالتأكيد والتكرار هي عملية شد لذهن السامع , وهنا خلط الإمام إثبات الحق مع توافر الحجة , فعندما يقول : أنا , يعززها بـــ ابْنُ خَيْرِ مَنِ ائْتَزَرَ وَارْتَدَى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنِ انْتَعَلَ وَاحْتَفَى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ طَافَ وَسَعَى.

فالإثبات بالحجة أقوى وأبلغ من غيره , ولهذا فإنَّ آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) حجج الله على خلقه .

ومن ناحية أخرى تأكيد الإمام (عليه السلام) على مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) رسالة مفتوحة غير مشفرة إلى السامع وهي الإثبات والثبات على ولاية الإمام علي (عليه السلام) فعندما يقول : " أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجَبْرَئِيلَ الْمَنْصُورِ بِمِيكَائِيلَ، أَنَا ابْنُ الْمُحَامِي عَنْ حَرَمِ الْمُسْلِمِينَ وَقَاتِلِ الْمَارِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ، وَالْمُجَاهِدِ أَعْدَاءَهُ النَّاصِبِينَ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشَى مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوَّلِ السَّابِقِينَ، وَقَاصِمِ الْمُعْتَدِينَ، وَمُبِيدِ الْمُشْرِكِينَ، وَسَهْمٍ مِنْ مَرَامِي اللَّهِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلِسَانِ حِكْمَةِ الْعَابِدِينَ، وَنَاصِرِ دِينِ اللَّهِ، وَوَلِيِّ أَمْرِ اللَّهِ، وَبُسْتَانِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ"[23]

فقصدية التعبير هنا واضحةٌ جدًّا , وكأنَّ الإمام السجاد (عليه السلام) وضَعَ بني هاشم وبني أمية بمقارنة علنية ومكشوفة في إثبات الأحقية بالخلافة , فأسلوب المفارقة الذي اعتمده الإمام رفع من مستوى الخطاب ما فوق مستوى الإقناع بل أخذ دور المبلّغ , حتى يقول الراوي :

" فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ أَنَا أَنَا حَتَّى ضَجَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ، وَخَشِيَ يَزِيدُ لَعَنَهُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فِتْنَةٌ فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَقَطَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، فَلَمَّا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ "[24].

وهذا أكبر دليل على ما سبق من الكلام أنَّ الإمام السَّجاد (عليه السلام) اختار المتلقي المقصود بالرسالة التي أراد أن يوصلها من خلال خطبته في الكوفة والشام , ويقول السيد الأعرجيّ في كتابه (الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) زين العابدين) أنَّ الإمام كشف من خلال خطابه أمورًا عدة أهمها :

---

[22] بحار الأنوار، ص 137.

[23] المصدر نفسه , ص137.

[24] المصدر نفسه , ص137.

1. ساهم في الكشف عن الحقيقة التي حاول بنو أمية لعنهم الله التستر عليها ومنها التقليل من أهمية الرسالة التي حملتها السبايا .
2. شرح الوقائع من يوم العاشر من محرم الحرام إلى دخول السبايا إلى مجلس يزيد لعنه الله .
3. إدانة واضحة وصريحة على الذين دعوا الإمام الحسين (عليه السلام) ثم غدروا به وتخلوا عنه وحاربوه [25].

وهكذا يتبين مستوى التأثر في الخطب وبما يشتمل من أفكار ومعتقدات وهذا ما يسعى إليه المخاطِب والمسؤولية التي يتحملها وهي كيفية الوصول إلى أعلى درجة في إقناع المخاطَب , وهذا ما وصل إليه الإمام السجاد (عليه السلام) في الاحتجاج والإثبات فقد وصل إلى أعلى مستوى في الإقناع العاطفي والعقلي .

الخلاصة :
توصل الباحث مما سبق إلى خلاصةٍ أهمها :

1. لايمكن الاعتماد على أسلوب محدد في الخطاب وتوهم من ذهب إلى أن لكل شخصٍ أسلوبًا محددًا في الكلام لأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كسر هذه القاعدة من خلال الأسلوب المختلف الذي اعتمده في الخطبتين .
2. إنَّ اللغة أقوى أداة يمكن من خلالها تغيير القناعات والأفكار والعواطف .
3. دلالة القصد شرط أساس لوصول النص من الحديث العادي إلى الحديث التفاعلي.

[25] ينظر : الامام علي بن الحسين (عليه السلام) زين العابدين , السيد زهير الاعرجي ,شبكة الامامين الحسنين للتراث والفكر الاسلامي , 2014م , ص38.

4. الحجـة هـي التـي تهـدف إلـى إثبـات أي قضـية وبـالعكس , وهـذا مـا ميـز كـلام الإمـام (عليـه السـلام) بأنـه أثبـت الحجـة دون الحاجـة للمجادلـة والمحـاورة والتـي تعـد مـن ثوابـت إظهـار الحجة.

المصادر والمراجع :
القرآن الكريم .

1. الصناعتين , أبو هلال العسكري , ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ,دار إحياء الكتب العربية ,ط1 , 1652م.
2. الاحتجاج، الطبرسي ,تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف، دار النعمان، 1966 م، ج 2.
3. أسرار البلاغة , عبد القاهر الجرجاني , ت: محمد الفاضلي , المكتبة العصرية , بيروت , ط3 , 2001م .

4. الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) زين العابدين , السيد زهير الأعرجي ,شبكة الإمامين الحسنين للتراث والفكر الإسلامي , 2014م .
5. بحار الأنوار، العلامة المجلسي , مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، 1414 هـ، ج 45.
6. تحليل الخطاب الثقافي , عبد الرحمن محمد طعمة , دار النابغة للنشر والتوزيع , طنطا , ط1 , 2021م .
7. خطاب الجمهور من الشفاهية إلى الرقمية , عزة شبل , دار النابغة للنشر والتوزيع ,ط1 , 2021م .
8. دلائل الاعجاز في علم المعاني , عبد القاهر الجرجاني , ت : محمود شاكر, مطبعة المدني في القاهرة , ط2 , 1992م .
9. الفروق اللغوية , أبو هلال العسكري , ت : محمد ابراهيم , دار العلم , د.ط , د.ت .
10. القصدية في اللغة بين الدراسات القديمة والحديثة , رنا ماجد ثابت , مجلة كلية العلوم الإسلامية , المستنصرية , 2020م .
11. لسان العرب , ابن منظور , دار صادر , بيروت , ط3 , 1414 هـ , ج3 .
12. المصباح المنير, أحمد بن محمد الفيومي , ت:عبد العظيم الشناوي , دار المعارف – القاهرة ,ط2 .
13. المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية في القاهرة , ط2 , 1972م , ج1 .
14. مقال السيميائية والنص الأدبي ,عبد الحميد برايو ,أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها , جامعة عنابة ,1995م .
15. مقاييس اللغة , ابن فارس , ت : عبد السلام هارون ,دار الفكر , د.ت , 1979 م , ج5 .
16. المقصدية نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب , سلطان الزغلول , صحيفة الرأي , , 2012http://alri.comم.